ـ الانكليزي ، الذي نفترض ان القارىء مطلع عليه ٠

ولكن ، قبل ذلك ، لا بد من التنويه : ١) ان التحدي الصهيوني اكبر واعنف من التحدي الاستعماري ، اذ ان الاول هيمنة واقتلاع ، في حين ان الثاني هيمنة فقط ٠ ٢) ما اصاب الشعب الفلسطيني كان ممكنا ان يصيب اي شعب عربي اخر ، اذ ان التأخر الفلسطيني عينة فحسب من التأخر العربي العام ٠

I

في فلسطين ، ماذا واجهت الحركة الصهيونية ؟ ماذا واجه الانتداب البريطاني ؟ اي ، كيف كانت عمارة المجتمع الفلسطيني في سائر حيزاتها وجوانبها ؟ ماذا كان في وسع هذا المجتمع ان يفعل لمواجهة غزو جماعات اخرى حديثة او شبه حديثة ؟

من الزاوية الاقتصادية ، واجهت اقتصادا شبه طبيعي ، اي اقتصادا ذا تقنيات متأخرة جدا وعلاقات انتاج اقطاعية شرقية ، اي ان الاراضي كانت في حيازة اقطاعيين **غائبين** ، الامر الذي لعب دورا كبيرا في تسهيل انتقال اراضي عربية الى اليهود (١) ٠ في العام ١٨٩٥ لم يكن اكثر من ١٠٪ من الاراضي الصالحة للزراعة مستثمرا ، والعربة بدولابين لم تكن قد ظهرت الا قبل ذلك بعقدين (٢)٠

من الزاوية المجتمعية ، نظام القرابة هو السائد ٠ كان الفرد من الاسر الاسلامية لا يقول كلمة او يخطو خطوة الا وهو مراع تقاليده قبل كل شيء ، مصلحة اسرته قبل كل مصلحة ونفوذ اسرته قبل كل نفوذ (٠٠٠) الفلسطينيون منقسمون بعضهم على بعض ، كل واحد منهم يمثل اسرته لا وطنه (٣) ٠ وبعبارة اخرى ، كان المجتمع الاسلامي الفلسطيني مفتقا او مزررا بواسطة نزعة انعزالية ، خصوصية ، عشائرية (٤) ، اي اننا كنا ازاء **جماعة** (ما قبل قومية) **لا مجتمع** (اي بنيان قومي حديث) ٠ من هنا ، عندما تكونت ، بعد الانتداب ، اطر سياسية حديثة (الاحزاب) ، بقيت قشرة متموضعة فوق الانقسامات العائلية والطائفية ، التي تميز المجتمع العربي التقليدي ٠

والواقع ان نظام القرابة العربي قد لعب ، وما يزال ، اشد الادوار كؤدا وشؤما في عرقلة الاندماج القومي العربي ومحاربة عملية تسييس المجتمع العربي ، ذلك لان نظام القرابة هذا يعارض الانصهار المجتمعي ويقف حائلا دون ان تصبح القومية نسيجا سوسيولوجيا للجماعات العربية ٠ لذا فان استمرار نظام القرابة لدى جماعة ما يشكل مؤشرا على انها ما تزال في مرحلة تاريخية ما قبل قومية ٠ والقومية بالنسبة لجماعة كهذه لا تعني علاقة مجتمعية ـ سياسية ، بل مجرد موقف تمايزي ازاء جماعة اخرى ، وهذا ما يجعلها عاجزة عن بناء دولة قومية عقلانية حديثة ٠